

حوار حول الصداقة

:شخصيات المحاوره

.صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة

.سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه

.حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط

.سوزان: عازفة بيانو

.ماجدة: محررة الصفحة الثقافية في إحدى الصحف

.بيار: مهندس كمبيوتر

صونيا: قرأت لحسام قصيدة ورد فيها هذين البيتين

يعتريني أو لهيب
أشرقت شمس حبيبي

لست أدري أيُّ شوق
إذ على مرآة ذاتي

وأنا في هذه اللحظات أشعر بشموسكم تشرق على مرآة ذاتي فأتوهج فرحاً وسعادة، أشعر بدفء الإلفة يسري في كل خلية من خلايا كياني، ونعومة الطمأنينة تهددني وكأنني طفلة تدللها أمها، فلحظة تضمها ولحظة تشمها، وفي كل اللحظات ترعاها بأنفاسها وألق عينيها، بظلال أهدابها ونبضات قلبها

أرجو المعذرة إن خانتني الكلمات في التعبير عن مكنون أحاسيسي فأنا في هذه اللحظة أشعر أن الإنسان إذا لم يرَ نفسه على مرآة أصدقائه وأحابيه فهو لن يراها على الإطلاق. سيعيش وهو مغتربٌ عن نفسه ونفسه مغتربةٌ عنه. بعلاقتنا الشفافة مع الآخرين نتواصل مع نفوسنا... هذا ما أحسه في هذه اللحظات

حسام: أنت يا أميرة هذا المنتدى وواسطة عقده، بكياستك التي أحسن العقل صقلها تستضيفيننا، وبشفتيك التي أحسنت الطبيعة رسمهما ترحبين بنا، وبحكمتك التي صاغت ثقافتك العالية تديرين جلساتنا، وبهذا الجمال الباهر المتجدد كنهر هيروقليطس تلهميننا أعلى المعاني وأعذب القصائد والعبارات

سوزان: أنا أفهم أن الشعر يرقق الأحاسيس ويصقل المشاعر فهو المصفاة التي تصفي خلجات قلوبنا من كل شهوة قاسية ورغبة عدوانية، لتجعلنا كهاناً في معبد الجمال، خاشعين لجلال كماله

بيار: لا يليق بحسام ألا يكون قد استلهم جمال صونيا في جلال كماله، ولذا نحن نطلب من حسام أن يسمعنا ولو عدة أبيات تنزل على قلوبنا برداً وسلاماً

حسام: إحتدم الجدل مرة في مسألة عويصة تتعلق بجوهر النفس وخلودها، وأخذت صونيا تتكلم فتقدم البرهان تلو البرهان. لحظتها إعترتني هزة إعجاب وانجذاب فوصفتها قائلاً:

أرى فمها صيغ من حكمة
وأبخسه إن أقل من ذهب
إذا ابتسمت غار بدر الدجى
وإن نطقت تاه فنّ الأدب
هبتها الطبيعة مجد جمال
جثوناله وثيننا الركب

.....

وها أنا الآن أجتو من جديد وأثني ركبي.

ماجدة: وأين بقية القصيدة؟

حسام: البقية وصف ما افترّ وما نهّد، وما ترجرج وما صدح، تقرأونه كاملاً في ديواني الجديد الذي سيصدر قريباً.

سليمان: كلنا يعرف أن الجسد البشري مهما توازنت أعضاؤه وتناغمت، ومهما رقت في شفافيتها وعذبت مناهلها، يبقى جسداً عابراً في الزمن يزوي ويضمحل في لحظة غفلة لا يتوقعها أحد. ولكن الكلمة تحفر بإزميلها جبهة الزمن وتنطبع الى غير زوال، مجد الكلمة أنها مقيمة وليست عابرة، خالدة وليست فانية فطوبى للجسد الذي يصفه الشعراء ويستلهمه الفنانون ويستوحيه الأدباء والفلاسفة، نزول وضمحل بأجسادنا، وحوارات هذا المنتدى المدونة والمنشورة تبقى خالدة تقرأها الأجيال التي لم تولد بعد، وجمال صونيا يبقى مثلاً أعلى يستلهمه الشعراء الذين سيولدون بعد حين كما نحن حتى هذه اللحظة ما زلنا نستلهم جمال جسد بيضة خدر امريء القيس، إنها العلاقة الجدلية بين الفاني والخالد، بين المحسوس بالحواس والمحسوس بالعقل والحدس.

صونيا: لا شك أننا نحن البشر الفانيين متعطشون الى الخلود، نسعى بوعينا وبلا وعينا لملامسة الخلود ولو في الأحلام، أكثرنا ظنّ أنه يستطيع أن يخلد عبر ذريته فتمادى في الإنجاب، ومع تماديه في الإنجاب إزداد تماديه في الخطأ، لأن الإنسان مذ يولد، وكما عبّر سليمان عن ذلك في حوار سابق، يولد بشخصية مستقلة جسداً ونفساً، إرادةً وعقلاً، وما فيه من والديه إلا بعض العادات المسلكية العرضية، والجينات التي لا شأن لتأثيراتها بالعقل والإرادة، فهو بجوهره الإنساني يملك الإستقلالية التامة. ولذا أصبح الخلود عبر الكلمة هو الخلود الحقيقي. كثيرٌ منا حتى اليوم يعتبرون أفلاطون أباهم الحقيقي والأكاديمية أهم، والبعض ينتسبون الى أدونيس وعشروت، وآخرون يقولون أنّ العقل الكلي والدنا الحقيقي والنفس الكلية أمنا الحقيقية. أما آباء اللحم والدم فهم آباء الصلصال الفارغ والطين اللاذب، وتبقى النفس العاقلة في توهجها الخالد إبنة النور الخالد الذي هو، كما يقول سليمان، لا أول له فيعرف ولا آخر له فيوصف، ولا حدّ له فينحصر ولا كيف له فينظر، فوق كل شيء ولا شيء تحته، وتحت كل شيء ولا شيء فوقه وفي كل شيء ولا شيء فيه وحاوي كل شيء ولا شيء يحويه ومع كل شيء ولا شيء معه. إنه النور الخالد ونحن أبناءه الخالدون بخلوده وما عدا ذلك باطل الأباطيل

حسام: إنني أعتقد أنّ الإحساس الجمالي عند الشاعر والفنان هو قبسٌ من ذلك النور الخالد، إنني أعيش هذا الإحساس وخيالي يرتعش بصورة الإبداعية، وعقلي يصف المثل الأعلى للشيء وليس الشيء ذاته، فأنا مثلاً عندما وصفت ترائب صونيا وشبهتها بالمرأة ورأيت صورة ذاتي متجلية في تلك المرأة، وعندما وصفت ثدييها اللذين إستعليا تكبراً وتجبراً، وتفاخرا على بقية الأثداء، وعندما شبهت ساقها بأعمدة هيكل روماني مقدس، وردفيها بخليج إختبأ فيه اللؤلؤ والمحار، كل ذلك كان لمعات إحساس جمالي أشبه باللمعات الصوفية التي لا علاقة لها برغبة ترابية أو شهوة صلصالية.

سوزان: مشكلتنا مع حسام هي أننا لا نعرف متى يقول الحقيقة ومتى يراوغ ويناور، في بعض الأحيان أراه شفافاً صافياً كما الإله ديونيسيوس وهو يطل من سماء الميثولوجيا اليونانية، وفي بعض الأحيان أراه كالساحر الذي يخرج الأراب

من قبعته وطيور الحمام من أكمامه، هؤلاء الشعراء يدوِّخون ويدوِّخون معهم الآخرين تماماً كما المجذوبين في حلقات الرقص الصوفي، لكل هذه الأسباب أنا شخصياً أحب الشعر وأتجنب الوقوع في وهج جاذبيته

ماجدة: أنتم تعقدون الأمور وتأخذوننا الى البعيد. أنا شخصياً أعتقد أن الإنسان يجب أن تشرق على مرآة ذاته شمس جميع الناس وليس فقط شمس أحبائه، وذلك لسبب بسيط هو أن الإنسان كائنٌ إجتماعيٌّ بالفطرة، ولأنه هكذا فهو لا يستطيع أن يرى ذاته إلا على مرآة الآخرين، وعلى الآخرين أن يروا ذواتهم على مرآة ذاته. الشعراء وحدهم يدخلون المسائل المبسطة في متاهات التعقيد وذلك لأن ما يكتبونه في غالب الأحيان منبعث من اللاوعي وليس من الوعي. وما يستقبحه بعض النقاد الجدد في الأدب العربي الكلاسيكي ويعتبرونه شعراً مصنوعاً في عالم الوعي يتبع قوانين لا يحيد عنها، ويكرر معاني يعتبرها مثلاً علياً، هو بالذات سبب جمال الشعر العربي الكلاسيكي الذي يحاكي قيماً في الجمال والمروءة والفروسية والشجاعة والكرم شبه ثابتة لا تتغير إلا في المظاهر دون الجواهر

سليمان: لا شك أن ملامسة الجمال بالكلمة أو باللون أو بالشكل أو بالنغم أو بالحركة، تسهم في السموّ العقلي والعاطفي وحتى الغرائزي عند الإنسان، فالذين يتذوقون جمال جسد المرأة مثلاً في تناغم تقاطيعه وتوازن أعضائه وتناسق جزئياته هم بنفس الوقت أكثر الناس حرصاً على عدم إستباحة هذا الجمال أو تعريضه للتلوث أو الذبول أو الزوال بأي طريقة من الطرق. لماذا يفعلون ذلك! لكي يكونوا قادرين على تذوقه أكبر قدر ممكن من الزمن، حتى أنهم قد يتخاصمون مع صاحبة ذلك الجمال لو حاولت أن تستهين به أو تسيء معاملته سواء بالشره في الإقبال على الشهوات من مأكّل ومشرب وسهر وإباحة أو بما هو شبيه بذلك

صونيا: أظن سليمان لامس بآرائه الموضوع الذي اجتمعنا به هذه الليلة للتداول. ألا وهو موضوع الصداقة. أنا شخصياً أفهم الصداقة من هذه الزاوية بالذات أي حرص الصديق على ما في أصدقائه من جماليات سلوكية ونفسية وجسدية، وبذل مجهود صادق وحقيقي لصيانة تلك الجماليات. أنا مثلاً أعجبنى دفاع سليمان بحماسة منطقية عن قوانين العقل وقوانين الطبيعة، ويعجبنى التقاط حسام لأدق

النأمت الجمالية وتجسيدها كلمات على الورق، لهذا أنا أبذل كل مجهود قادرة على بذله لصيانة تلك الجماليات عند سليمان وحسام. وإذا ما صدق وأتى يوم رأيت فيه سليمان يدافع عن العبثية والفوضى وحسام يغرق في مستنقع بهيمية شهواته، سأكون حزينة حتى النخاع الشوكي، وسأشعر بكآبة قد تقودني الى التوحد واعتزال المجتمع لفترة طويلة.

بيار: هل معنى ذلك أنك وهبت عقلك لسليمان وقابك لحسام ونحن ماذا بقي لنا؟

سوزان: لا أدري لماذا أنجذب الى الصداقة وأنأى عن الحب. من كلام صونيا ابتدأت الفكرة تتجلي أمامي بأبعادها العميقة فأفهم أن الصداقة ترابط وتفاعل إيجابي بين أناس لا يحاول أي واحد منهم أن يضغط على حرية الآخر أو إستقلالية رأيه أو محاولة تغيير مشاعره أو إستبدال هواياته. بينما الحب في ذروة جموحه هو محاولة لتذويب الواحد في الآخر، هو محاولة إلغاء حرية الآخر وجعل الحبيب ظلاً لمحبوبه، بل هو محاولة جعل إثنين يبتنان أفكارهما على موجة واحدة وكأنهما واحد.

وهذا بالطبع مخالف لقوانين الطبيعة. ألم يقل سليمان أن الإنسان كيانٌ مستقل متكامل له بصمته البيولوجية الخاصة به وبصمته العقلية الخاصة به وبصمته العاطفية الخاصة به، وبالتالي محاولة تذويب هذه الإستقلالية الفردانية هي محاولة تعدد تصل الى حدود الإغتصاب. إنها محاولة سلبية وليست محاولة إيجابية.

ماجدة: الحبّ في الشرق شيءٌ بغيض ومدمر، فهو إما أن يصل الى مرحلة فناء الذات كما حصل لقيس عاشق ليلي الذي وصل الى مرحلة يقول فيها "أنا ليلي" وإما أن يصل الى مرحلة مدمرة من الغيرة على الحبيب بحيث يحجب المحب عن حبيبه الفضاء والهواء والرؤية ولذة معاشرة الآخرين والتفاعل معهم. وهذه الأمور كثيراً ما وصلت الى مرحلة العنف مع الآخرين أو الى ردة فعل مدمرة كما حصل لديك الجنّ الذي قتل حبيبته وأمضى عمره يبكيها بدموع حرّى.

سليمان: الصداقة إنجذاب إيجابي بين إثنين أو أكثر، يحاول كل فرد أن يعطي الآخرين أجمل ما عنده من صفات وأرقّ ما يملك من مسلكيات وأعذب ما طرأ على عقله من أفكار وعلى عاطفته من أحاسيس. بهذا المعنى الصداقة ضدّ مبدأ التملك

والإستقطاب، فهي ثقافة إشتراكية تنفي مبدأ هذا لي وحدي ولا أسمح للآخرين أن يقتربوا منه أو أن يشاركوا فيه. الصداقة هي أن تتجذب الى إنسان يشاركك فيه الكثيرون دون أن تشعر بالغيرة من هذه المشاركة بل على العكس تكون هذه المشاركة سبباً لتوسيع دائرة معارفك وعلاقاتك الإجتماعية. ولهذه الأسباب تنمو الصداقات وتزدهر في المجتمعات المتطورة ثقافياً وإقتصادياً وسياسياً، وتراجع قصص الحب كما عرفناها في الكلاسيكيات الأدبية حتى حدود الثلاثي. ففي المجتمعات الديموقراطية التي طبعت ديموقراطيتها ببعض الفكر الإشتراكي الذي يساعد على ترسيخ مقولة العدالة الإجتماعية والمساواة بين الرجل والمرأة ومحاولة ردم الهوة بين الطبقات من حيث مستوى المعيشة والثقافة. في هكذا مجتمعات يجرّد الإنسان من جلد فردانيته فينفتح على الآخرين على مبدأ سعادتني جزءٌ من سعادة الآخرين ومصالحي جزءٌ من مصالح الآخرين. فتسقط الحواجز بين الأفراد والطبقات والديانات والأثنيات، ليتناغم الجميع في لحن إجتماعي واحد رغم إختلاف النامات الصوتية والطبقات الموسيقية.

أما في المجتمعات الديكتاتورية حيث تحكم مخابرات الأمن العام، هناك الناس تتوجس الريبة من بعضها وتتصرف بحذر وكأن كل إنسان هو عدو حتى يثبت العكس. وكل إنسان هو مخبر حتى يثبت العكس " والعكس لا يثبت أبداً" الأمر الذي يجعل الإنسان ينغلق على نفسه ولا يتجرأ أن يبوح بمكنونات فكره ورغباته لأحد. وبما أنه يتصور الآخرين مخبرين ينتظرون إنقاط كلمة منه أو تصرف ليقدّموا وشاية يقبضون ثمنها، بات الإنسان مزدوجاً في شخصيته يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر، وأقواله في مكان وأفكاره وأحاسيسه في مكان آخر. في هكذا مجتمع كيف تطلب من الناس أن يكونوا أصدقاء يشاركون بعضهم الأحاسيس والأفكار والرغبات والأمان... كيف تطلب من إنسان أن يفكر بصوت مرتفع في مجتمع تحكمه مخابرات الأمن العام فتزرع الخوف في قلوب الناس حتى تجعل الإنسان خائفاً من أن يبوح برغباته لنفسه، فيدفن رغباته في اللاوعي خوفاً من أن يطلع عليها وعيه، عندها كيف تطلب منه أن يبوح برغباته للآخرين ويتواصل معهم على أساس الثقة وتوقع الخير في المشورة والنصيحة وحتى في الدردشة.

صونيا: أفهم من هذا الكلام أن الصداقة هي ثمرة ناضجة طيبة المذاق لا تثمرها إلا المجتمعات الحرة السيدة المستقلة التي تعيش أجواء ديموقراطية ليبرالية، وتأخذ بعين الاعتبار موضوع المساواة بين الأجناس والديانات والأثنيات والأحزاب والجمعيات والروابط، وأفهم أيضاً أنّ الإنسان الخائف باستمرار من أشباح منظورة وغير منظورة لا يصلح لكي يكون صديقاً ولا لكي يكون له أصدقاء، لأنه لا يستطيع أن يكشف عن مكنونات ذاته للآخرين ولا الآخرين يستطيعون أن يكشفوا عن مكنونات ذواتهم إليه.

ماجدة: معنى ذلك أنّ في هذا الشرق العتيق لا نستطيع أن نستمتع بلذّة الصداقة الحقيقية لأننا خائفون باستمرار، المخبرون من جهة، والزعامات الإقطاعية الديكتاتورية من جهة أخرى، والإقطاع المالي الرهيب المستجد والذي يعبث بكرامات العمال والموظفين في بلاد لا يوجد فيها أي بنية قانونية تحمي الموظف والعامل، ناهيك عن الإقطاع الديني الذي يحتكر منفرداً المحافظة على الطقوس والأوقاف ويروجّ لأفكار القرون الوسطى بأن المرأة عورة لا وظيفه لها إلا إثارة الشهوات عند الرجال، وهي بحاجة دائمة الى ولي أمر لأنها قاصر من الناحية العقلية، وبما أنها قاصرة عقلياً فهي غير مؤتمنة على شيء أي إنها دائماً تحت الشك والريبة في جميع تصرفاتها، والرجل الوقور المحترم يجب ألا يكشف عياله لأصدقائه هذا إذا تواجد عنده أصدقاء، لأنهم قد يتناولون على عياله بالباطل، وعند ذلك يأتي العار والشنّار... بربكم قولوا لي إنه في هكذا أجواء حيث لا يستطيع الرجل أن يأمن من شرّ صديقه ومن تطاوله على عياله، ولا يأمن شرّه أيضاً من تطاوله على ماله وممتلكاته كيف يمكن عندئذ أن نعيش تجربة الصداقة الحقيقية

سوزان: العلاقات التي تولدها المصالح المادية أو ظروف العمل لا يمكن إدراجها تحت خانة الصداقة، لأنها علاقات تتلاشى بتغيير ظروف العمل والمصالح. الصداقة الحقيقية برأيي علاقة بريئة ظاهرة علوية بين اثنين أو مجموعة من الناس يتكاشفون بأفكارهم وأحاسيسهم ورغباتهم وأحلامهم وآمالهم، ويستطيع الواحد منهم أن يبوح للآخر بكل شيء وهو يعرف مسبقاً أنّ الآخر لن يستغل ما به أو يوظفه لمصلحة أو لشهوة أو لمنفعة. وأن ردة الفعل لعمله لن تكون إلا مشاركة في السعادة إذا كان

البوح سعيداً أو في الفكاهة إذا كان البوح فكهاً، أو في الحزن إذا كان البوح حزيناً، أو في المشورة والنصيحة إذا كان البوح مشكلة تتطلب الحل.

سليمان: لا أعتقد أنّ الإنسان يصلح ليكون صديقاً إذا كان يملك مشاعر عدوانية، بمعنى آخر على الإنسان أولاً أن يتصالح مع نفسه وذلك بمعرفته لنفسه. أما كيف يعرف نفسه فهو يجب أن يتعلم أنّ في داخله جوهرأ إلهياً هو نفسه العاقلة الحرّة المريدة ويجب أن يحترم هذا الجوهر ويحافظ عليه ويصونه من الفكر الخرافي والفكر الغيبي والفكر النفعي والفكر العنصري، وذلك بالتدرب على التفكير المنطقي المنهجي الموضوعي تحت مظلة القانون السببي. ثم يصونه بعدم السماح للآخرين من التحكم بقراراته وإختياراته لأنّ الإنسان إذا لم يكن عاقلاً حراً مسؤولاً أصبح روبوت ولم يعد إنساناً. فإذا عرف الإنسان نفسه بهذه الصفات وتصالح معها على أساس إحترام مكوناتها، أصبح ذلك مدخلاً لكي يتصالح مع ربه فيحترم قوانين عقله الكلي الذي يدبّر به شؤون هذا الكون بناءً على قوانين سببية وليس إعتباطاً ومزاجاً، ثم إحترام قوانين الطبيعة التي جسمه إحدى نتاجاتها، وسعادة جسمه في التناغم مع نواميسها، هكذا الإنسان يصبح صالحاً ليكون صديقاً للآخرين يفكرون معاً بأصوات مرتفعة، ويكشفون معاً عن خباياهم بدون تحفظ أو خوف من إستغلال أو إبتزاز، ويعلمون أنّ للصدّاقة حرمة أكثر حميمية من حرمة الدم، وخير من راعي هذه المبادئ أعضاء الجمعيات الفيثاغورية قبل الميلاد وإخوان الصفاء في الألف الأول الميلادي في هذا الشرق. ثم انطفأ النور وعدنا الى عصر الظلمات

حسام: أنا صديق الجمال أتبعه أينما يحلّ، تتبرج الطبيعة وتتغاوى فأفرش أحاسيسي أشعاراً تحت أقدامها، تتغاوى صونيا بقدها المياس وأردافها الرجراجة فأحرق مشاعري بخوراً على أدراج هيكلها، تتحرك أنامل سوزان برشاقة على مفاتيح البيانو وتسيل الأنغام دافئة ناعمة، فتسيل عواطفي بسيلانها حتى أنني أتخيل أنّ قلبي بيانو وسوزان تحرك أناملها على مفاتيحه السحرية، يقدم بيار رسوماً ومعلومات على شاشة الكمبيوتر فأشعر بلذّة الإبداع ولذّة تشخيص ما كان هيو لانياً، يتمنطق سليمان ويفلش قياساته واستقراراته كما تفلش الراقصة الشرقية شناسيلها فأستمتع بلذّة المعرفة وأشعر بأن قامتي المعنوية إزدادت إرتفاعاً. بكلام

موجز أتبضع بكم جميعاً لتتوحد كلنا من جديد كياناً معنوياً رائعاً فأحس نفسي
أترلق على ألوان قوس قزح، عندها أستلّ قلمي وأبدأ بكتابة قصيدة

صونيا: قال سليمان أن إخوان الصفاء هم الوحيدون في هذا الشرق الذين جسدوا
مفهوم الصداقة واقعاً محسوساً معيشاً متألّقاً ببهائه. ولكن غاب عن بال سليمان أنّ
إخوان الصفاء كانوا مجموعة رجال لا يوجد بينهم امرأة واحدة، وكأنّ الصداقة
محصورة بالرجال فقط. برأيي أنّ تجربة فذة وتقديمية ونهضوية كتجربة إخوان
الصفاء من المؤسف أن تكون تجربة مبتورة ومشوهة لإبتعاد المرأة عنها. وهذا يدل
على عمق مأساة الفكر الشرقي ومرارة هذه المأساة فحتى الرجال العقلاء الذين
تحرروا من شهوات التملك والسلطة والشهرة والملذات المادية، لم يستطيعوا أن
يتخطوا حاجز إعتبار المرأة في المفهوم الشرقي مجرد عورة يجب سترها عن أعين
الرجال ومنعها من مخالطتهم لأن كل شيء فيها يثير غرائزهم " ولا شيء إلا
غرائزهم" حتى ولو سمعوها تصلي أو تبتهل أو تناجي، أو رأوها تبكي وتتفجع.
بهذا المفهوم الدوني للمرأة أشعر أنّ الرجل يهين نفسه قبل أن يهين المرأة لأنه بذلك
يصور نفسه ذكراً مستنفراً لشهواته وينتظر أي بادرة تقوم بها المرأة من الكشف عن
شعرها أو وجهها أو ساقها أو من رقصها أو غنائها حتى تثار شهواته وتتأجج
غرائزه فينقضّ عليها إنقضاض الذئب على الحمل وعلى أحسن الحالات يدخل هو
وإياها تحت شبهة الخطيئة

ماجدة: هل معنى ذلك أنك تريدين رجلاً يمازج امرأة في كل ميادين الحياة ولا
يشتهيها لأنه بذلك يهين نفسه ويهين المرأة؟ هذه مثالية مطلقة بل ما ورائية

حسام: هذه تطورات سخيفة فإذا كان الرجل مستنفراً شهوانياً وحجرت المرأة عنه
سيشتهي ذكراً مثله، وإذا حجر عنه الذكر الذي مثله سيشتهي أنثى حيوان أعجم. إذن
القصة ليست إبعاد المرأة عن الرجل بالحجاب أو البرقع أو عدم الإختلاط، القصة
هي كيف نهذب غريزة الإنسان الشهوانية ذكراً كان أم أنثى لنساعده على تخطي
ذكريته أو أنثويته ويمارس نفسه كإنسان ولا شيء إلا كإنسان. هنا أضم رأيي الى ما
قاله سليمان بأن الإنسان إذا لم يعرف نفسه ومكونات نفسه وبأنه قبسٌ من نور
الله، وبأنه خميرة الألوهة في عجين هذا العالم، عندها لن يستطيع ممارسة

إنسانيته، بل سيتحول الى حيوان ذكي أناني مملوء بالشهوات المشروعة وغير المشروعة، ويستعمل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق تلك الشهوات، عندها تلغى الصداقة كلياً ويصبح الأمر أشبه بعراك ذئاب على فريسة، الأقوى يأكل النصيب الأوفر.

بيار: لقد غفتم جميعاً ما تفعله ثورة التكنولوجيا من تطورات على صعيد العلاقات العامة، إنها تساهم في خلق ثقافة كونية تعم جميع الشعوب والأجناس والطبقات، هل نسيتم أنّ "الفايس بوك" قد وفر للإنسان ذكراً أم أنثى فرصة التعرف على آلاف الأشخاص، من عشرات البلدان وعشرات الثقافات، والتكلم معهم بمنتهى الصراحة والمكاشفة دون أن يحسب أي حساب لرقيب أو لمخبر. عملية مصادرة الحريات لم تعد ممكنة في عصر ثورة التكنولوجيا. وإعتبار المرأة عورة يجب سترها عن الأعين الشهوانية أصبح نكتة سمة في عصر تُقدّم فيه الفتاة نفسها للتعارف مع أي كان في أي بلد كان بعشرات الصور لشخصها بمختلف الوضعيات، بل إنني أعرف الكثير من الشبان الذين يطلبون من الفتيات عبر البحار أن يقدمن أشخاصهنّ بصدور عارية وأجسادهنّ عارية فيفعلن دون أي حرج. وكذلك يفعل الشبان. نحن اليوم نعيش عصراً جديداً وهو عصر ثقة الشباب ببعضهم، وانفتاحهم على بعضهم بالصورة والكلمة والحوار والنقاش والنكتة والفكاهة والسفاهة وكل شيء.

صونيا: لا تظننا من أهل الكهف، فنحن على دراية بكل هذه الأمور، ولكننا نلاحظ أن ما يجري من مكاشفات بين الشباب عبر "الفايس بوك" أكثره دردشة وثرثرة عبثية وليس تعبيراً عن هواجس تؤرق الإنسان وتقض مضجعه.

بيار: ولماذا تريدون جرّ الشباب الصاعد الى همومكم وأرقمكم ومشاكلكم الفكرية والنفسية والفلسفية؟ فالشباب اليوم لا يهتم إلا الحصول على وظيفة وشلة من الأصحاب يجتمع وإياهم في مطعم أو مسبح أو ملهى ليلي، والجميع لا يريدون أن يتحاوروا إلا بالنكتة والفكاهة والثرثرة. لأنه يكفيهم تعب العمل اليومي طويل الدوام.

سليمان: أنت تبسط المسألة أكثر من اللزوم، فالإنسان يفكر باستمرار وتفكيره هو برهان وجوده، وهناك مسائل تؤرق الإنسان وتقلقه لا يستطيع إلا أن يفكر بها مثل قضية الموت وقضية خلود النفس أو فنائها، وقضية الأسرة ومقوماتها، وقضية حضارة معينة وإنتمائه الكوني الى الإنسانية قاطبة، وقضية علاقة العاطفة بالغريزة وعلاقة الإثنين معاً بالعقل، وقضية الحرية التي هي أم القضايا ومعرفة حدود الأشياء وكيفية التمييز بين العمل العادل والعمل غير العادل. كل هذه الأمور تشغل تفكير الإنسان وتؤرقه وهو لا يستطيع منفرداً أن يهتدي الى الحقائق اليقينية والفضائل البرهانية، وبالتالي هو بحاجة الى مناقشة هذه الأمور مع أصدقاء يفكرون بأصوات مرتفعة دون خوف أو منافقة أو إرتياب أو مصلحة أو منفعة أو إبتزاز أو إرتهان أو تبعية. أنا شخصياً أعتقد أن حاجة الإنسان العاقل الحرّ المسؤول الى أصدقاء يحاورهم ويناقشهم ويجادلهم ويقدم فكره بأفكارهم هي حاجة طبيعية تماماً كما حاجة الجسد البشري الى الهواء والماء والطعام. وأعتقد أيضاً أن الإنسان المتواجد في مجتمع لا يسمح بأنظمتة السياسية والإجتماعية والثقافية بوجود حلقات حوار ونقاش ومكاشفة ومصارحة وتعبير صادق عن مكونات العقل والنفس والعاطفة والغريزة، هكذا إنسان هو إنسان مقهور في مجتمع مقهور، وعليه أن يتعاون مع غيره لإزالة هذا القهر الذي لا يعادله قهر وذل ومهانة في الوجود.

فالجوع الحقيقي هو حاجة العقل الى الحقائق قبل أن يكون حاجة الجسد الى الطعام، والحقائق لا يمكن أن يعرفها شخص فرد بل تتولد من قرح العقول الفردية ببعضها بأجواء مملوءة بالثقة والإحترام والمحبة بين أولئك الأفراد. عندها تولد الحقائق ويتمتع الإنسان بلذة لا توازيها كل الملذات الحسية وهي لذة معاشرة العقلاء ومناذمتهم وهذه هي لذة الصداقة

ماجدة: أستنتج من كل كلامكم أنّ الصداقة تنطلق من منطلقين رئيسيين. المنطلق الأول أن الإنسان كائن إجتماعي لا يستطيع أن يرى ذاته إلا على مرأيا الآخرين. والمنطق الثاني أن علاقة الإنسان بالمعرفة علاقة ضروريات وليست علاقة كماليات، فهو إما أن يكون كائناً مفكراً ويفتث عن الحقيقة ليتناغم معها، وإما ألا يكون إنساناً على الإطلاق. ولما كانت الصداقة هي الإطار المثالي لتمكين الإنسان

من ممارسة كونه مفكراً يفتش بقلق عن الحقيقة، وإجتماعياً لا يتلمس وجوده إلا على مرآيا الآخرين، كان الأصدقاء حاجة ضرورية وجوهرية في حياة الإنسان، وليسوا شيئاً عرضياً وكمالياً.

سوزان: ولكن الفكرة لا تتوضح إلا إذا إنطلقنا من قاعدة أنّ النفس الإنسانية العاقلة الخالدة التي هي قبسٌ من نور الله هي واحدة، لها نفس الخصائص عند الرجال والنساء على حدّ سواء، وهذا الأمر أعتقد أنّ الكثيرين إما لا يفهمونه وإما يتجاهلونه وأما يستكبرون عليه. فلقد قرأت عشرات الأبحاث التي يحاول أصحابها أن يثبتوا أنّ عقل الرجل له خصائص تختلف عن عقل المرأة، وهم يحاولون أن يخبئوا هذه العنصرية تحت عباءات كثيرة من البراهين والقرائن والإسنادات الدينية التي يعطونها بالباطل صفات البراهين المنطقية

سليمان: النفس الإنسانية واحدة لدى الذكر والمؤنث فهي عاقلة حرة مسؤولة مريدة، ولذلك لا عذر لأحد أن يسمح لأي مرجعية مهما تكن صفتها أن تصدر له عقله وحريته أو إرادته في إختيار أعماله وأقواله. وفي المجتمعات التي تحكمها القوة وليس العقل والفكر الغيبي وليس الحقائق البرهانية، والخرافات وليس المنطق، والفرز الطبقي الحاد وليس العدالة والكفاية. في هكذا مجتمعات فقط تبرز الفروقات بين الذكر والأنثى نفساً وجسداً وفاعلية، وتبرز الى جانبها العادات الشاذة والأفكار الخاطئة، والتقاليد التي تحاول أن تحتمي بشرائع السماء وهي لا تحترم إلا سلاطين الأرض.

حسام: إذا كان منطلق الإنسان كائناً إجتماعياً لا يستطيع أن يرى نفسه إلا على مرآيا الآخرين هو منطلق أساسي للصدقة. أفلا يحق لي عندئذ أن أرى صورة وجهي على ترائب صونيا المصقولة كأروع مرآة؟ ألا يحق لي أن أقول لماجدة إسمحي لي أن أحقق في عينيك ملياً أريد أن أرى صورتني فيهما؟ ألا يحق لي أن أقول لسوزان هلا عزفت أصابعك على أوتار قلبي الهائم كما تعزف على مفاتيح البيانو لتسيل موسيقى عواطفى الدافئة؟

صونيا: شرفٌ كبيرٌ للتراث المصقولة والعينين النجلاوين والأصابع العاجية أن تخلدها كلمات شاعر بموسيقاها الداخلية والخارجية التي لا تفتأ تصدح مدى الدهر وتشف آذان الآلهة الخالدة

بيار: الثقافة الكونية الجديدة ابتدأت، إنجازات التكنولوجيا في نشرها ستزيد حجم القواسم المشتركة بين الأفراد والشعوب، وستوسع الدائرة التي يتفاعل بها الناس مع بعضهم، إنه عصرٌ جديد أخذت شمسُه ترتفع في الأفق، ومن يعيش عقداً آخر أو عقدين سيرى عالماً جديداً يبني بسلم قيم جديد.

ماجدة: ليست القواسم المشتركة هي التي تبني الصداقات الحقيقية فقد يجتمع عدد من المجرمين على قواسم مشتركة من التعدي على حرمان الناس وإغتصاب أموالهم وأجسادهم وممتلكاتهم، والعبث بأمنهم وإستقرارهم. وقد يجتمع عدد من الشذاذ على تناول المخدرات وممارسة الجنس الجماعي بمختلف أشكاله المخالفة لقوانين الطبيعة، وقد يجتمع أناس ليس على حبّ بعضهم أو الثقة ببعضهم بل على كره الآخرين والثأر منهم كما يحصل في حالات التعصب الطائفي حيث يجتمع بعض أبناء طائفة على كراهية طائفة أخرى والتعدي عليها ولكن ما إن يتم تعديهم على الطائفة الأخرى حتى يعودوا الى التعدي على بعضهم البعض. وهذا ما يحصل أيضاً في المجتمعات القبلية، حيث يجتمع أفراد القبيلة في التعدي على قبيلة أخرى، فإذا انتصروا عليها عاد كل فخذ في نفس القبيلة ليتعدى على الفخذ الآخر، فإذا انتصر واحد على الآخر عادت كل أسرة في الفخذ لتتعدى على الأسرة الأخرى، ثم كل فرد في الأسرة للتعدي على الفرد الآخر. معنى كل ذلك أن القواسم المشتركة لا تبني صداقة فللصداقة معايير أخرى

سليمان الصداقة يبنيها أناسٌ إنطلقوا من منطلق أنّ جوهر الإنسان هو عقله وجوهر العقل هو التفكير وجوهر التفكير هو الإدراك وجوهر كل ذلك هو الحرية. هؤلاء الناس العقلاء الأحرار تحققوا بالملاحظة والتجربة والإستقرار والقياس أن لذّة اللذات وسعادة السعادات هي المعرفة. وذلك لسبب بسيط هو أنّ المعرفة هي اللذّة الوحيدة التي تطلب لذاتها ولا تطلب لغيرها. ولما أدرك هؤلاء العقلاء رجالاً ونساءً ذلك، أدركوا أيضاً أن عقل الفرد الواحد عاجز عن إدراك المعرفة كاملة والتمتع

بلذتها منفرداً، فاجتمعوا معاً على مبدأ أنهم عشاق المعرفة والساعون بشوق ووجد للوصول إليها والاتحاد بها وذلك عبر قدح عقولهم ببعضها لتولد المعرفة من الشرارة التي يولدها ذلك القدح. هذه الصداقة وما عدا ذلك باطل الأباطيل.

سوزان: أنا شخصياً أوافق على أنّ لذة المعرفة تطلب لذاتها ولا تطلب لغيرها، وأنها لذة اللذات التي لا يوجد بعدها لذة أعلى منها، وهي لذة النفوس الصافية المصقولة بالمجاهدة والفضائل العفية والمسلك المتناغم مع قوانين الطبيعة، وهي التي تجعل الكل ينصهر في واحد تماماً كما الأنغام المتباينة تنصهر في لحن واحد.

حسام: هناك لذة موصولة بلذة المعرفة وهي ليست أعلى منها ولكنها الثمرة الأشهى فيها وهي لذة الخلق والإبداع. أن يخلق الموسيقار لحناً إبداعياً، ويخلق الرسام لوحة إبداعية، ويخلق الأديب أشخاصاً على الورق لهم بصمات وجودهم الخاصة بهم، ويخلق العلماء المعادلات الجديدة، هكذا يتشبه المخلوق بخالقه ويكون عن جدارة ابنه البار.

صونيا: ولكن الله يبدع من ذاته والإنسان يبدع من أشياء سبقته، ولكنه يحسن في جعلها متناعمة متوازنة متناسبة فتبدو جديدة ورائدة وهنا نعود الى رأي سوزان في التناسب والتناغم.

سليمان: لننهي محاورتنا إذن بالقول أنّ الصداقة هي تناغم عقول وتنااسب أحاسيس لذتها التواصل مع المعرفة التي تطلب لذاتها ولا تطلب لغيرها.

صونيا: لننهي محاورتنا بالقول أنّ الصداقة هي ثمرة أناس إجتمعوا ليحققوا إنسانيتهم وليس ليحققوا أية غاية أخرى.

كمال يوسف سري الدين